کارین

تألیف:

وعیل یاسمین نورھان

کارین

بقلم:

وعیل یاسمین نورهان

الكتاب: كارين.

تأليف: وعيل ياسمين نورهان.

تصميم الغلاف: وعيل ياسمين نورهان.

التنسيق الداخلي: مكتبة كُتوباتي.

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي.

www.kotobati.com

kotobati@gmail.com

إصدار 2021.

جميع الحقوق محفوظة.

الإهداء:

شكراً على صمتكِ الطويل رغم أن أعماقكِ ثرثارة، شكراً لأنكِ عانيتِ طويلاً و لم تستسلمي، هنيئًا لإكتئابكِ و حزنكِ الطويل و مزاجك المتقلبِ المتعكرِ في كل لحظة ،شكراً لأنكِ رغم الخراب إلا أن خارجكِ هادئ كالليل يستحيل تصديق مابداخله، ألف تحية لإبتسامتكِ المزيفة و إدعائكِ بأن كل ماحدث عادياً بينما كان يؤلمكِ جداً، لا العائلة ولا الأصدقاء، لا القريب ولا البعيد أدرك مابكِ أيتها الديسمبرية، لكِ في عيدكِ الثامنة عشر من عمركِ، كل عام و أنتِ جامدة المظهر كالفصل الذي خُلقتِ به تمامًا يا 'كارين' .

المقدمة:

دائما ماكنتُ أكتبُ للبشر ، كُل واحدٍ من الجميع أخذ شيئاً مني ورحل ربما هدية، نصيحة، حروف، لم يمر أي إنسان علي إلا و أخذ جزءاً من كُلي!

لكن بعد قدوم ميلادي التعيس المتنكر بالسعادة قررت أن أكتبَ لنفسي ولذاتي، لي أنا لا أحد غيري وليس لأجلكَ أيها القارئ حتى، سأكون نرجسية ...

لن أتفوَه بأي كلام من أحاديثهم الرقيقة لكي أمَس بها عصباً برأسِكم أحرك إحساساً به؛ لقد أنهيت عاماً تافهاً مليئاً بالخدوش فهنِيئًا لي ولسنيني التي هُدرت وسوف تُهدر .

أظن أن الكاتب الحقيقي هو ذلك الذي يستطيع السيطرة على المشاعر فقط بتلاعبه بالأحرف لا أكثر، لكن ماذا لو كانت تلك الأحرف هي حياة أحدهم؟ كيف يُمكن للقارئ أن يتحمل مرارة الحدث بالرغم من كونه قارئاً فقط قبل الوصول للنهاية ؟

مُزخرفة كالقماش الذي بين رفوف الخياط تلك هي حياتي التي تنعم بالإختلاف، وهذا الكتاب خير دليل على ما أقول، فتارة أضم الكلمات لأشعر بالأمان ومرةً أكسرها لأني أحسست بجرحها لي، مرة أجزم كلماتي لأجزم قولي و مرة أشد عليها بالشدة ليشتد جزمي ...

هذه المرة حروفي ليست برسالة إنما فضفضة للقلم بطريقة حزينة، هذه الحروف لن تغير فيكَ شيئاً ،لهذا لستَ مُجبرا على قراءته. و لا تلمني عن كم الحزن بين ثناياه فقد حذرتك مذ البداية!

كارين

الحياة ليست بتلك الميثالية التي يراها أغلب المتفائلين الذين ينعمون بالصبر الطويل، فنحن من تعبنا لسنوات حتى نرى مانراه حالياً كلفنا آلاف الحروب ...آلاف الخيبات...و الآلاف من الخسارات المتتالية...بعدما كنا متفائلين بذرة الأمل التي غرسناها ولم تُثمر لنا لحد هاته الساعة، مازلنا ننتظر و ننتظر لأن يأتي المشيب الذي أتى قبل وقته ،هل المشكل في أن 'كارين' شخص حساسٌ زيادةً عن اللزوم أم أن العالم بأسره أخطأ لعدة مرات غير متناهية في حقها!

ليست كل النهايات سعيدة ،فبعض النهايات التي قرأتها كانت تعيسة لحد أنها أدخلتها في إكتئاب لا مباشر، بعض السطور كانت تغرقها في بحر الأمل و الفرح و أخرى تُدحرجها بين مواقع اليأس...

إنها مليئة بالتناقض كأنها ليست من بني البشر ...تلك هي حياتها ...بين أربع جُدران لونها رمادي

قريب من الأبيض، مرمية في فراشها، مُنعدمة التفكير...

إنها استثنازجية، خليط من الإستثناء و المزاج المتقلب الحاد ..قوية لا يمكن التلاعب معها...يسقط الكبار و الصغار عداها..عندما تتحدث هي تسقط كل النظريات و المعتقدات و يسقط الفلاسفة لأن كلامها بعيدٌ عن المنطقية لكنه مُقنعٌ جدًا...إنها انثى لها القدرة على أن تتسامى على حدود السماء،

إمرأة من طرازٍ آخر مختلف عن أي أنثى كلاسيكية أو عصرية أو من الزمن الفكتوري، لم يكن هناك أي نسخة مشابهة لها من قبل ولا في زمانها حتى.

بدأت الذكريات تتهاطل على رأسها كالمطر في شتاء ديسمبر ...

في أحد الليالي الديسمبرية المُثلجة، وُلدت تلك الملائكة التي تُدعى 'كارين'....

تفاصيلها صغيرةٌ جداً ،خدودها، يديها،أصابعها، كُل شيء بها لطيفٌ للغاية، قطعة سُكر على شكل بشر،

لونها أحمر مائل للفراولة الحُلوة، أتت للدنيا ولا تعي شيئاً منها سوى أنها بين الحين و الآخر تبكي ...

في يومها الأول أظهرت وجودها بالبكاء طوال الليل ،أما نهاراً فكانت تنام نوماً عميقاً وكأنها تعاقب من حولها ليلاً و تنغمس هي في الراحة أثناء النهار ،بينما هم قد أكلهم التعب الظاهر تحت أعينهم .

يوم،يومان، ثلاثة أيام...ستة و عشرون يوماً هاهي ذات الخدود مُرتدية اللون الأحمر_كنزة صوفية جميلةٌ جداً_ ذهب بها والدها هي و عمتها و أخيها التوأم_توأم عمتها_ و أخيها الأكبر منها بأربع سنوات إلى المُصور لأخذ صورة تذكارية ،ومازالت تلك الصورة موجودة ليومنا هذا في دفتر الذكريات بين رفوف الكتب ...

بعدها عادت بين حضن والدها ومعه البقية للبيت ،كانت هذه هي أول خطوة لبناء ذكريات'كارين' أول صورة لها بعد ولادتها،لقد شرعت في حياتها و في بدايتها الأولى لكتابة مسارها ،أول خطوة لتحقيق هدفها الذي يبعدها ألف ميل ،ورغم عدم وعيها و علمها ببُعدها عن المُبتغى لأنها مازالت طفلة إلا أنها شرعت في السعي نحوه.

مضت سنتين و ثلاث ليُحكم عليها بالعجز الحركي مرض صامت لا يظهر على خارجها بسبب حادث سخيف لا يُمكن تصديقه، في بادئ الأمر لم تشعر 'كارين' بأي شيء، أو بكونها مُقعدة، لم تتأثر بجُل هذا إلا عندما رأت أقرانها بأشكال مختلفة، في حالٍ مغايرٍ عن حالها ،ست سنوات لم تقف على رجليها ولم ترى العالم كما يراه الشخص الطبيعي!

طول الوقت جليسة الفراش ،يمكن تجاوز أي شعور إلا الشعور بالعجز ...يمتلكون حق الحرية و الحركة و عمل ما يشاؤون إلاّ مَن يشعر بالعجز سيكون مُقيدًا للأبد، حتى لو تعافى فسيبقى حبيس نفسه ،وماضيه، وماكان يشعر به أنذاك! كالطير المسجون داخل القفص تحت عنوان اعتقاد صاحبه أنه يقوم بتربيته بينما هو قد سلب منه حريته، حياته،مستقبله،بل أبسط ما يحق له بأن يملكه مسلوب منه...

هذه المشاعر تؤلم بطريقة جيدة، أقصد أنها تؤلم لكنها بطريقة مختلفة عن أي ألم أو شعور ...

ليس شرطاً الشعور بالعجز الحركي بسبب نقصٍ أو مرضٍ ما بغض النظر عن ذلك هناك الشعور بالعجزِ

النفسي، العجز بعدم القدرة على الشرح، أو العجز في صعوبة التجاوز و البقاء في حلقة واحدة، يختلف كل واحد منا بعجزه عن الآخر كإختلاف الفصول الأربعة المتوالية هكذا نحن نتوالى ...

يحاول طرد ماداخله لكن ماداخله يقترب منه وفي كل مرة يتم الطرد بقوة أكثر من سابقتها يكون القرب و الرد مضاعفًا للطرد شبيهًا بالمطاط البلاستيكي الذي يلعب به الصغار أو مطاط البالونات و أول صفة مشتركة بين الإثنين هي الألم الذي يأتي من ردة الفعل .

ليس للفرد حاجة في القوة الجسدية ليتعايش مع الحياة و تجاوزه لعجزه بقدر حاجته لقوة التحمل ...محظوظ من يمتلك مُخيلة ،قلم،و ورقة ليشرع في قصته الجديدة حتى لايشعر بالقيود التي منعت عليه تسرب أي شعور...

أجرت عمليةً جراحية على مستوى رجلها ليتصلح أمر عجزها وتتخلص منه لأن كل المرض يكمن فيه، ذلك الرجل الملعون بتعويذة لم تُفك ليومنا هذا!

دار حوار بينها و بين الطبيبة قبل دخول غرفة العمليات

-ماذا سنفعل هنا؟

. سندخل ياصغيرتي إلى هنا لنخيط لكِ ثوب عروس لتذهبي لأحد الحفلات

. لكن المكان مخيف هل يوجد ماكينات خياطة هنا؟

. نعم يوجد لكنها في الداخل، سأدخلكِ إلى الغرفة التالية و ستفعلين ما يقولون لكِ حتى يكون ثوبكِ جميلاً مثل جمالكِ .

. حسنا أنا أثق بكِ و بخياطتكم يا آنسة

. ههه لا تناديني آنسة يمكنكِ مناداتي بعمتي أو خالتي أو كلمات من هذا القبيل...

إنها لا تدرك أن جسدها هو نفسه مانيكان الخياطة_دمية عرض الملابس أو مانيكان هي دمية على هيئة إنسان تُستخدم في المحلات لعرض الملابس. ظهرت لأول مرة في المحلات التجارية الكبرى عام 1860 وكانت بدون وجوه. وتطورت على يد المهندس البلجيكي عام 1869 عندما أضاف إليها

وجه وشعر طبيعي وقد أحدث عرضها الإعجاب والدهشة لدى الناس_و القماش هو لفافات طبية ذات اللون الأبيض، مُلطخة بدم العضلة ليترك دليلا على الخياطة ...

نية و براءة الأطفال لا يمكن لأي شيء أن يُضاهيها، لا يمكن للشخص الواعي أن يدرك مدى بشاشة الأمر، يثقون بكل عابر ابتسم في وجوههم،

عندما نهضت 'كارين' من نومها العميقِ رأت نفسها مُقيدةً على سريرِ المشفى، رجلها ملفوف بالقماش الأبيض الذي بدل أن يكون فستانا جميلا،توالت الحياة بين أروقة المستشفيات و الأدوية ليومنا هذا ...

في تلك السنة خطت أول خطوة لمسيرتها الدراسية ..أول أهدافها هو النجاح في طلب العلم ..فتاة صغيرة عمرها لا يتعدى الست سنوات مازالت تبكي على تقطع دميتها ..تحزن لأنها لم تأكل الحلوى ..و تتصرف تصرفات صبيانية لتدل على لطافتها و نظرتها البريئة للعالم ..تعطي كل حبها وقلبها لأي عابر يبتسم في وجهها و يقول لها كلمة جميلة ..النهوض الباكر، النشاط و الحيوية، الشعور

بالتجديد و الإكتشاف و الغموض! هو كل ما غزى 'كارين' صبيحة أول يوم لدخولها الإبتدائية القريبة من بيتهم ..

عندما يصبح الإنسان في نقطة معدومة ،أو لنقل أنها أقل من الصفر ولا تستحق العدم ومجهولة كالإكس الذي متواجدٌ بالمعادلاتِ الرياضية التي تأخذ عدة أوراقٍ لأجلِ إيجادِ الحل،و في الأخير الحل هو مجرد رقم واحد.

هكذا تماماً نحن نتلاشى، نمتلئ، ننكسر، و الكثير من المشاعر الحتمية التي يمتلكها الكائن البشري، سببها واحد فقط يتجمع في كلمة واحدة وهو متغير كالمتغير إكس، فتارة الحل هو "خيبة" ومرة "فقدان" وتارة نجده "ماضي" وهكذا يتغير الشعور إكس حسب المعادلة الحياتية التي نمر بها!

الجانب الغالب في جُل معادلات 'كارين' كان حلاً واحداً أو اثنين، متكرراً في كل مرة بعد محاولات عديدة لإيجاد الحل ...

بعد عشر سنوات من المجيئ للعالم علمتْ بأنها

مُزخرفة كالقماش الذي بين رفوف الخياط تلك هي حياتها التي تنعم بالإختلاف.

ست سنوات، سبع، ثمان سنوات.... إلى أن وصلت لسن الرابعة عشر! مُنغلقة على نفسها من كُل جوانب الحياة، مضت عمرها كُله بين أروقة المدارس و المستشفيات ،ذكريات ليست جيدة للحد البعيد و رغم كل ذلك إلا أنها اختارت الإستمرارية قانوناً لتحيا به في دروب الدنيا.

كانت انطوائية جداً ولا أحد يعلم هذا حتى هي لم تكتشف عزلتها إلا بعد أربع سنوات!

منعزلة لا تخالط أحداً، حتى أتت سحابة العهر تلك لتهُز خاطرها، في أول حديثها ظهرت أنها مُتميزة ومختلفة عن البقية وبأنها تستحق الثقة ،كانت 'كارين' فتاة بدائية التفكير و التقدير للأمور أسرفت في تقديرها بكل شيء جيد ولطيف ،حين نبلغ عمرًا معينًا ، لابدّ أن نسمّي الأشياء بِمسمّياتها لهذا سمتها بـ "رفيقتي" ،مراهقة لم يتعدى عمرها الرابعَ عشرة أنذاك، لازالت الطفولة على مُحياها، فغسلت هي دماغها!

بريئة ملائكية كما تعرفينها يا أمها لا تدرك من الدُنيا شيئاً، هي السبب أتدرين لماذا؟

بينما الجميع في صفوفهم يتابعون الدرس كانت تُرغمها بالخروج والتسكُع معها دون فائدة أو نتيجة حتى، 'كارين 'لم تتغير بل هي من رسمت على صفحتها البيضاء ما كانت تُريد، غيرت ساعاتها و دقائقها وجُل أيامها....

مضت الأيام و الوضع من السيء للأسوء، لا عائلة'كارين' ولا هي تعلم مدى خطورة و سخافة الوضع

وثقت بها وأيقنت أنها لن تخون العهد لكنها فعلت تحت عنوان الظروف ،قتلتْ تلك البراءة الموجودة في ذاتها، كسرتها غيرتها، تلاعبت بعقلها، فعلت كل هذا ولحد الآن لا تعرف ماكان دافع ذلك، بعدها لم أُكون صداقة مع أحد قط .

-'كارين'

-نعم!

-هل نخرج؟

-نترك الحصة في المنتصف؟

-نعم، مافائدة هذه المادة السخيفة...

كارين:أصابني الشعور بالخذلان لأنني كنت بريئة،و روحي التي كانت تنازع بحثاً عن ما يُغلق ذلك الجرح الذي كان الأول في حياتي، لكنني لم أجده، كبرتُ يا أمي بعدما مضت السنين ونضجت،الوعي المبكر لعنةرائعة،هي أول نقطة غيرت مجرى تفكيري ،اتذكر جيداً كيف خبأتُ أسراري عندها و أنا مُغمضة العينين ،خُلق الرفيق ليرافق ليس ليفارق أو يكسر أو يجعل من رفيقه شخصاً مُحبطاً لا أن يكون مجرد خيبة، لماذا لا يمكن له أن يكون صادقاً؟

لقد مضت ماتت ودفنتها بداخلي!

لم تتوقف الخيبات عند هذه بل تواصلت إلى يومنا هذا والآن تحديداً إنني أعترف بأني كُنت ساذجة ليس لدي خبرة بالحياة،غبية أعطي قلبي لكل عابر يضحك في وجهي.

تعالجت عند الطبيب النفسي لمدة خمسة أشهر بعد دخولي في حالة إكتئاب ،ولم يشعر أي أحد بذلك،لكنه مضى.

في سنة 2019 تحديدا تهاطلت الكسور و المشاكل على رأسي، لكن حينها تعرفت على براءة تُدعى 'رونق'تكبرني بثلاث سنوات فقط، كانت أول صداقة حقيقية لي بعد إنعزالي عن المجتمع وفقداني لثقتي بنفسي و بأي بشري.

-مرحبا

-أهلا من معي

-أنا رونق و أنت؟

-أنا كارين

أول حديث وحوار لي معها قد يبدو بسيطاً عادياً في أوله لكن الأيام التي بعده كانت مليئة بها ،تقاربتا، حتى أصبحتا الواحدة منا أخت الثانية،و تُكمل 'كارين'قائلة : أحبها لقد كانتْ جميلة ، لكِن لَيس كفَتيَات المجلاَّت ، كانت جميلة لأنَّها ترى الأُمور بشكل مُخْتلِف ، كانتْ جميلة بسببِ عينيها الَّتي تتَألَّق عندما تتحدث عَن شيء تحبُّه، كانتْ جميلة بسبب قدرتها على جَعْلِ الآخرين يبتسِمُون حتَّى وهِي حَزينة. لم يكُنْ جمَالها ينبع منْ أيّ جمَال خارِجِيّ مؤَقت ،ِكَانَ جمَالُها يَنْبع منْ أَعْماقِ روحهَا. أكاد

أجزم بأننا من دم واحد، بعدها بسنة تعرفت على 'رثيم' ذلك الملائكي العاشق للعب بالحروف فيأخذها مداً وجزراً لينتج لنا عُصارة أدبية نُمتع بها عقولنا أثناء المطالعة....

تتمنى أن تُشفى روحها من سلبيّة الأفكار التي غالبًا ما تدور حول معارك الماضي وحسراته المؤلمة،و تتمنى أن يرتاح قلبها؛ ذاك الذي ينبُش جراحه القديمة من جديد كُلما أوشكَت على الشِفاء، أتمنى أن يحِل السّلام والنور والبهجة على الحرب التي بداخلها فإما أن يقع الإستسلام أو النصر في النهاية.

وكيف لها أن تواجه كل هذا الأسى الذي في قلبها، والأرق الذي ينام تحت عيناها، كيف لها أن تحتمل تلك الأصوات التي في رأسها،و كيف تنجو من معركة الذات مع الذات؟

تقول 'كارين' في أحد جملها:"آخر نَوبة ضحك حقيقيّة كانت حينما كنت في فناء المدرسة الثانويّة، ثم غدَت الحياة بعد ذلك جديّة أكثر..."

لم تغدو حياتها أكثر جدية إنما غدت أكثر قساوة مما سبق،و انتهت نوبات الضحك لديها، لم تتظاهر

بكونها قوية لا تُكسر بل بأنها بخير دائمًا، قالت الحمد لله وليس بأنها في أفضل حال، لأنها تؤمن بأن الأحزان الصغيرة ثرثارة وعظيمها أبكم ،أيقنت معنى ذلك بعدما أصابتها لعنة الصمت و عدم معرفة ترتيب الكلمات المبعثرة وتركها تخرج بشكل عشوائي و أكثر إختصاراً ،لم يستطع الواحد فك الشيفرة أو معرفة مابين سطورها، كان النضج المبكر تعويذة ولم تستطع إقناع نفسها بأنها بخير

كومة من الخيوط والشباك المعقدة ببعضها البعض مترابطة بشكل عشوائي لا نعرف أين بدايتها أو نهايتها ولا يمكن المساس بها لشدة صعوبة حلها، هكذا كان شعورها مشابها لكومة الخيوط و الشباك ...

يُقال أن البكاء لا يعني الحزن بالذات، فالسعيد يبكي و المتألم يبكي ،و المشتاق يبكي، بل هو رمز للإمتلاء بشعور ما! الغريب ليس هذا بل الغريب أن 'كارين' ممتلئةٌ لوقتٍ طويلٍ جدًا ولم تنفجر لا بالصراخ أو البكاء ولا بأي طريقة حتى، و الكتابة ملجأ لعجزها عن البكاء وإخراج الدموع من جفونها!

عندما تعلمتْ الكتابة و أدركت مستواها الأدبي الجميل كثيراً،كان يبدو أن أسلوبها حزينٌ يائسٌ مُذبلٌ

! لكنها ليست كذلك لأنها كتبتّ الحقيقة الكامنة فقط ليس إلا ..

قالت: شتان بين مايشعر به المرء ومايراه المجتمع شتان بين الرؤية الآيجابية من الزاوية الضيقة والرؤية السلبية من الزاوية الواسعة، فالواسعة تُرينا كل شيئ من نقطة البداية إلى مالانهاية أما الضيقة فهي منحصرة في مساحة محدودة...

أنا أندهش من كونها مُستمرة، قوية، لا تشكو، ولا تفكر في أي ما يحدث بها، كل تركيزها بين التجاوز لا الرجوع أو الخضوع ،كانت تنسى نفسها من تكون أصلاً

تستعملُ رذاذًا خاصًا بإخفاءِ الأحزان

حتى ترى نفسها في المرآة أكثر فرح، فيخرج من عنق الزجاج ورودًا منكسرة مليئة بالدم

تسرقُ ضحكة المهرج صاحب الأنف الأحمر ليتلون وجهها بالسعادة الخارجية

تختار زيًا رسميا باهض الثمن لتُظهر اهتمامها الكبير بمظهرها الخارجي لأن المكتئبون لا يكترثون لأشكالهم...

رذاذُ كاذب، مرآة مُستعارة، ضحكة مسروقة، اختيارٌ مزيف ...أشياء كفيلة لتصنع ماتبدو عليه 'كارين' للمجتمع لا ما تكونه هي .

في ديسمبر وُلدْتْ و في الوقت ذاته انتهت كل الأحلام، الأمنيات،الآمال، بل أخذ معه 'كارين' كلها، قصف بحياتها الصقيع الذي قتل بائعة الكبريت، هكذا انتهت حياتها و أحلامها في صقيع ديسمبر الذي بدل أن يكون وقتا تفرح به و تحتفل فيه بعيد ميلادها أصبحت تحتفل بذكرى نهايتها من كل سنة، إنها لا تحتفل إنها تقيم جنازة داخل ذاتها،لأن في ديسمبر انقطعت هي عن أحلامها و آمالها، نُزعت من نفسها، خُلعت، كخلع الضرس،كنزع الظفر من اللحم،أو كنتف الشعر لايحدث صوتاً لكنه يحدث الألم الصامت، وذلك بسبب حادث صغير سخيف بسيط حكم عليها بالعجز فأقلب حياتها و أرجعها للصفر و قتلها في سن السابعة عشر! لكن جنازتها ودفنها مازال مؤجلاً.

موقعها العقل، و المدفونة هي في ذاتها أما الميت كان كُل ماكسبت من الدنيا، و الحزين قلبها الذي أيسر صدرها ،انها حزينة بلا قيود ...

الكلمات تنفذ منها أثناء التعبير، يجف الحبر، يحل الظلام و تنقطع أورقها قبل انقطاع الكهرباء، ينفذ شحن هاتفها و يُعلن العدم لتتمزق دون أن تجد سُبلاً للتعبير عن ديسمبر اللعين ...

جُرعات الأمل نفذت من جيبها، مرمية في الوسط جثة على قيد الحياة لم يبقى بها إلا النبض، ماتت الذات،ماتت البسمة، مات الشعور، بل هي في حد ذاتها ميتة!

لم تجد طريقا لتخرج الفوضى التي برأسها، انتهت كل الحلول و انقطعت كل أطراف الخيوط ..

في الرابعة عشر من ديسمبر يوم الإثنين كان عيد ميلاد 'كارين' السابعة عشر ،و كأي يوم عادي دخلت مع والدها و أخيها 'زين' الأصغر منها ...عائدين من المدارس و والدهم من العمل، يوم ممل مُنهك متعب ..بعد خمس ساعات من الدوام ،دخلت مباشرة للحمام لتغسل يديها قبل الأكل، لكن قابلتها

والدتها قائلة:اذهبي مباشرة للخزانة و افتحي الباب الذي به ملابسك، استغربت كارين في بداية الأمر لكنها فعلت ما قالته لها أمها، تساؤلات أتت على رأسها لأن والدتها ولا أي مرة قالت لها شيء قبل تناول الغداء، روتينها انكسر اليوم....

ذهبت و فتحت الباب إذ بعلبة و كيس هدايا يسقط في الأرض ..حينها أدركت 'كارين' أنها هدية عيد ميلادها السابعة عشر ..

يوم، يومان، ثلاثة أتى الخميس اللعين!

كالعادة و 'كارين' تتجهز في الصباح الباكر للذهاب إلى الثانوية ،يوصلها والدها و يذهب هو للعمل, ليست ممن يحبون أخذ صور السالفي أو أي صورة شخصية,لأنها مغرمة بتصوير الطبيعة، الأكل، الرسم، الأشخاص خلاف نفسها، لكن في هذا اليوم تحديداً، وفي هذا الصباح بالذات و داخل القسم! التقطت صوراً سخيفة جداً لحذائها ،لنفسها، للقسم الذي تدرس فيه، بل حتى لأسخف التفاصيل التي كانت مُحاطةً بها ..

غريب أمرها كيف لها أن تتغير لهذه الدرجة السخيفة،مرت الساعتان الأولتان، و بعدها الساعة الثالثة!

لم تأتي الأستاذة لأنه آخر أيام الأسبوع وحضورها ليس مهماً...

خرجت 'كارين' و كانت في الساحة هي و والدها و أثناء الخروج من الثانوية شعرت بألم شديد في رجلها الأيمن و لم تستطع إكمال المشي أو الوقوف عليه، وصوت طرطقة شديدة في نفس مكان الألم وكأنه كسر !

نفس حادثة سبتمبر تتكرر، ليس نفس الألم بل إنه ضعف ماحدث في المرة السابقة ...لم تستطع الصراخ لكنها صبرت على الألم...

لتجد نفسها محاطة بالأطباء
..الممرضين..المرضى...الذي على يسارها طفلٌ في الثاني عشرة لا يمكنه التنفس و والده فوق رأسه يسأل عن حال إبنه المسكين...و المرأة التي على جانبها الأيمن لا تعرف مابها، الأكسجين ..الإبر ..الأدوية ..كانت محاطة بتلك المرأة، الجميع

يشعرون بالمرض و الإندهاش و البعض يصرخ و الآخر يبكي من الألم أو أنه يبكي خوفاً من خسارة أحدهم ..إنها رائحة المشفى مرة أخرى، 'كارين'لم تندهش لم تخف لم تصرخ لأنها مُعتادة على هذا الجو السخيف المليء بالمرض، فكيف لإنسان عاش حياته كلها بين أروقة المستشفيات أن يهلع من دخوله قسم الإستعجالات، لم تكترث قط فقط لأنها مُعتادة...

شهور تمر والوضع أسوء لأن 'كارين' لم تستطع اللحاق بالدروس وقد فاتها الكثير في مدة ثلاثة أشهر.

بعد ذلك الألم و بعد الذهاب إلى المشفى تبين أن رجل 'كارين' حالتُه متأزمة و الكسر قد تغلغل في عدة جوانب و زوايا!

لهذا أمرها الطبيب بوضع الجبيرة و عدم مزاولة الدراسة إلى أن يُشفى الكسر تماماً،و الراحة الجسدية الكاملة،لأنها لم تنم جيداً بسبب سهرها المتواصل لأجل البحوث و الدروس و الإمتحانات، لم تكن مهتمة بما يكفي بصحتها، الشحوب ،الهالات السوداء و آخرهم كُسر برجلها ليدل على سوء صحتها!

مضت الفروض و لم تستطع هي اللحاق بهم و تم تأجيلهم لتاريخ الإختبار، لم تتوقف هي هنا بل كانت مُصرةً أكثر على إكمال مسارها، درست وهي على حافة قبر و خريف حياتها، لوحت بيدها من فوق القبر و الإبرة بها و الأخرى كانت تحمل بها كتاباً ليدل على أنها مازالت مُتمسكة بالحياة، رجلٌ في الدنيا و رجلٌ في الآخرة ،حافة ديسمبر كانت بمثابة حافة القبر، قابلت الجميع ببسمة مُزيفة لتعلن سعادتها الكاذبة، هكذا تستمر الأيام لأن ترمي بها، بل القدر من رمى بها لما هي عليه ،كيف لهذا الجسد الضعيف أنه حل به كل هذا ولم يستسلم ناهيك عن الخدوش النفسية التي مرت عليها من إحباط و اكتئاب و الكثير من الإضطرابات، لكنها لم تتفوه ولا لأي شخصٍ بما غزاها،لم تنكد بل كانت متأقلمة مع الوضع..

موعد و اثنين وثلاث، مواعيد طبية مستمرة كل نتائجها سلبية تؤشر للوضع السيء الذي يتقدم فيه الكسر ولم يُشفى، بعد،

أتى وقت الإمتحانات ويجب عليها اللحاق بها ،على كل حال لحقت هي بالإمتحانات وفعلت المستحيل

لأن تنهي سنتها الدراسية فيكفيها مما تأخرت من سنوات على أقرانها، مرت، مضت، انتهت تلك الإمتحانات بعد أسبوع من التعب و الحفظ و السهر المتواصل و أتت النتيجة في النهاية.

كانت متوترة من النتيجة لكنها متيقنة من مستواها الجيد في الإجابات و عندما رأت معدلها شعرت بالفرحة مغروزة في قلبها، فكانت النتيجة أنها من الأوائل ،ثلاث نقاط فقط لتأخذ العلامة الكاملة، مع وضعها ،ظروفها ، تأخرها،و مرضها لكنها استطاعت أن تلحق القطار و لم تفوته!لكن لم يخبرها أحد أنه فخور بها، ولم تتلقى التهاني، احتفلت مع نفسها لأجل نفسها و مضى ذلك على أي حال.

سألها أحدعم عن نفسعا و إجابتها تقول:

في تلك الفترة الهشة جداً من حياتي التي لم أقدر تجاوزها، أو لنقل أنني قررت البقاء عالقة بها بالرغم من أنني أقوى من الإستسلام

قرأت نصاً يقول"كلما كتم المرء أحزانه وراكمها ، كلما تحولت تدريجياً إلى ألم جسدي، تخيلوا مدى

هشاشة المرء حين يظن أن الكتمان إنتصار بينما هو بالحقيقة أكبر هزيمة قد يرتكبها بحق نفسه"

-تجاوزي

-لكن الذنب كان أعظم من ذلك

-يكفي هراءً!

-هه يكفي هراءً؟ بل يكفي استهزاء،أريد أن أنتهي

-كيف لكِ الذبول قبل البداية

-عن أي بداية تتحدث عنها أيها العقل؟ بينما قلبي مكسور محطم...؟

إسمي 'كارين' عُمري ثمانية عشر نجمة متلألئة في السماء، بل عُمري هو عدد التجارب التي أمضيتها متخبطة وسطها...والعمر الحقيقي للعقل يظهر أثناء المواقف ،إتخاذ القرارات و غيرها من المسؤوليات ،لهذا لاداعي لـ التقليل من إحترام أي شخص صغير أو كبير فكلنا بشر بعقل واحد ،أما إسمي فإني من اخترته لي،أنا الآن أعيش تلك الحالة التي لا يهمّني فيها أحد، حتى نفسي في بعض الأحيان أكاد لا أملك القدرة الكافية على العناية بها كما كنت أفعل دائمًا،لست

كئيبةً أو حتى متبلّدةً لكنني عشت بما يكفي لأن أعلم بأن هذه الحياة حتى وإن طالت فما زالت نهايتها حزينة،ولأنني أعلم ماهي النهاية لم أفني عُمري في الحزن و الإكتئاب إنما جعلته جزءاً لا يتجزء مني، تعودت على وجوده بجانبي طول الوقت.

أشياء بسيطة جداً قادرة على صنعُ الفّرح بداخلي،كقطعة حلوى مثلاً ،فقط كُنت قنوعة بمّا أملك راضية بالقدر ومؤمنة بسعادتي،الأمل لا يمكن تقييده لا بالأشياء و لا بالبشر ،إنما هو مخفي بنا ويمكننا إخراجه متى شئنا.

طول حياتي كُنت أعيش بهذا المبدأ لكن أتت لحظة أخبرتني بأنني أخسر و ذكرتني بكل الشظايا التي تركتها ورائي، يُقال أن سلاح الأنثى هو تعلمها و إكمالها لدراستهاهكذا تقول لي أمي دائما، وبأن يتكل الإنسان على نفسه لا على أبيه، أن يصنع من نفسه عكازا يتكئ عليه لا أن ينتظر من الناس أن يلملموه،علاماتي ممتازة لم يبقى للبكالوريا إلا سنة واحدة وهكذا أدخل للمرحلة الجامعية، ذلك يعني أنني أصبحت راشدة و وجب عليّ الإعتماد على نفسي ،والكثير من

الأمور التي ألتزم بها وذلك لأنه أصبح يُطلق على 'كارين' بأنها شابة...

بعدما كنت الأمل الوحيد لتحقيق أمنية أمي التي لم تحققها هي في حياتها فشلت! خذلتها لأنني أنهيت طريقي الذي لم أبدأ به بعد ،كسرتها و لأول مرة...الحقيقة أن أبي من فعل لست أنا السبب الرئيسي لأجل ذلك،تظاهرت بأن ماحدث لي كان عادياً لكنه كان يؤلمني جداً

بعيدا عن أحلام أمي، مازلت أتساءل من أين أتتني الشجاعة حتى أوافق على إيقاف ما حاولت لأجله عدة سنوات، كافحت كأنني أبحث عن الإستقلال _الإستقلال الحقيقي هو بلوغ الهدف_ بزغ الفجر ومازلت أفكر بطريقة مُفرطة تجعلني أدرك حقيقة الأمر وفضاعته بأنني أفشل، تمثلني غادة السمان عندما قالت:' كل ليلة أدعي كاذبة أنني ذاهبة إلى النوم وحين أتمدد في فراشي أفتح نافذة في وسادتي وأقفز منها إلى حقول الماضي'

حين أتذكر بأنه قد مات أبوه وماتت أُمّه ودفنها طِفلاً بِيده ، وعاشَ يتيماً ثم ماتَ جدهُ ومات عمه وماتت

زوجته ، عاداهُ قومه وآذوه ومِن بلده أخرجوه ، كانَ مُبتلى ،

ودائِماً يقول " آفلا أكون عبداً شكوراً ."

صلو عليه. ﷺ

تعود لي الروح و أُصبر نفسي به ،الأمل الأخير و الأول لي في هذه الحياة!

بلغتُ الحافة وها أنا أُسقطْ بنفسي لداخلها ،أنتَ لا تفهم ماذا أقصد يا أيها القارئ أليس كذلك؟

دعني أخبرك بالحقيقة المُطلقة إذن،بعد مايقارب ثلاثة عشر سنة من طلب العلم و التعب، بعد المحاولات و عدم الفشل بالرغم من الضعف الذي حاوطني ومنع تسرب أي شعور أو قوة أو أمل، ذبلت بعد هذا

-دراستكِ ستتوقف عند هذا الحد

-ماذا؟ !

-لن تُكملي

عجزت عن إكمال ماتبقى من الحديث لأني تعبت...

مازالت ثغرة المجهول تُحاوطني من كل جانب، الطريق طويل و الوجهة غير معروفة بعد!

كأن العائلة هي الدمار رقم واحد لروحالإنسان.

صدمة، صدمتان،ثلاث، الكثير من الصدمات!

يصل العدد للمئة حتى يُنسى العد، ينغرس الحزن بشكلٍ عميقٍ في روح الإنسان لدرجة أنه لا يتضح كأنه غير موجود، هروب من إظهاره رغم عتمته كنقطة زيت في إناء ماء منعزل عن العالم رغم إنغماسه به،هكذا أصبحت على ماهي عليه الآن.

بعد كل ماحدث بها،و كتمانها الطويل لإدعائها بالقوة المزيفة ،تجردتْ من المشاعر و أصابتها الشيرؤووفوبيا لحد النخاع ،الشيرؤووفوبيا أحد أشهر الفوبيات المنتشرة التي تصيب الفرد وهي ترجمة لفعله حيث يعتاد على الحزن و المصائب و المشاكل بشكل يومي و عندما تمر عليه لحظة فرح يعتقد أن السعادة مجرد فخ، بل أنها بداية لحزن قوي و طويل لن يستطيع تجاوزه، سيتوهم ،بل سيصبح ياقناً أن السعادة كذبة كبيرةٌ عليه ليست بحقيقية، فوجهه

يبتسم لكن عقله وقلبه في حوارٍ كاسرٍ ليتنبآن بالمصيبة القادمة و التفكير في الحلول لها ...

بدايتها للتجرد من المشاعر،أول خطوة تخلصت من الشعور بالسعادة أو التمتع بها ولا التفكير فيها حتى!

أنينها لم يسمعه القريب، لم يلمحه البعيد، لم يره أي عابر أو شخص ،لم يكن ظاهراً قط، تقوم بلملمة شُتاتها وتضم نفسها، لا تنتظر من أي شخصٍ أن يكون سندها فهي سند نفسها، بفترة اعتكافها عن كل شيء اكتشفت أن بداخلها شخصيات عديدة و لكل شخصية منها رسالة تعب تحاول ايصالها للعلن! كانت تخدع الناس بالغلاف الهادئ و محتواها خرابٌ غريب لا يمثل الغلاف أبداً !

كانت تخجل بقول أنها حزينة، و أحيانا تخاف من ردة فعل الناس من قولها فيعتقدونها ضعيفة لا تقوى، فلم تفكر بنفسها و انكمشت حتى لا تظهر،استمرت بالحياة العادية المتكونة من النوم و الأكل و الشرب و غيرها من البساطة...

هكذا كانت خطوتها الثانية للتجرد من المشاعر بأن لا تشفق على نفسها أو تعطيها حقها و وقتا للتصالح

معها، يبدأ المرأ بخسارة نفسه عندما يصبح قاسيا عليها و لتأتي ردة الفعل بالكراهية و ذلك يعني أن يكره نفسه من نفسه لأنه قسى عليها.

استمرت 'كارين ' إلى أن وصلت لحد من القوة و قامت بترجمة جزيء صغيرِ جداً حياتها على شكل حروف مُلخبطة لتولد خربشاتها القصيرة مُسميةً إياها "كارين" لتهديها لنفسها في عيد ميلادها الثامنة عشر، رائع أن يهدي المرء نفسه هدية بدل إنتظار الهدايا من أحد.

بشكل تقليدي مادامت تجردت من الشعور بنفسها فمستحيل أن تشعر بالآخرين، وهذه هي خطوتها الثالثة.

الفضفضة ، غالباً غلطه ، فلم تُكثِر مِنها، بل كانت منعدمة بالنسبة لها...

الأصدقاء الحقيقين عُملةٌ نادرة في وقتنا الحالي، مستحيل أن تجد عملةً أصلية أصيلة تبقى بحوزتك لوقتٍ طويلٍ جدًا دون أن تخون جيبك، لا يمكن البوح بكل الأسرار للأصدقاء لأن الإعتقاد السائد 'الصديق شخص عابر يذهب عند انتهاء المصلحة

'خاصة عن مواجع الفرد، من يؤتمن اليوم سيتغير غدًا ليُفشِي السر، حبيبة الماضي عدوة المستقبل ....

لكن 'أُمنية ' و 'رونق' ملائكة لا يُمكن لها أن تفعل هذا ...لأنها رقيقة المشاعر قوية الروح جميلة المظهر....ليس باستطاعتها أن تفتح شفتيها الصغيرتين للتحدث عن أسرار 'كارين ' ..ليست من النوع البشري السيء. ..لا أحد فينا يُحب أن يتوجع و يصيب روحه الألم ..لا يوجد من يود أن يضيع عمره هباءً... و 'أمنية ' لا تحب الأذى لا لها أو لأي شخصٍ تعرفه ..ألم أقل لكم أنها ملائكة ..!

تسقط 'كارين' فتخرجها 'رونق' من بين الركام المتناثر عليها نتيجة السقوط ...تحتاج 'كارين' فتلبي 'أمنية ' الطلب ..

بالرغم من كل ماحدث بينهما ...التباعد و التقارب ...لو كان بإمكاني طبع الألاف من الكتب التي تحتوي عن الصداقة لكان كُل عناوينها 'أمنية 'و 'رونق'....

تقول كارين: كل ما كنت أعرفه أنني خائفة، لا أعرف لماذا أو ممن خفت لكنني متأكدة و متيقنة أن ذلك الشعور كان لأجل شيء لا أعرفه...

ذهبت إلى الصالون ،كانت أمي قد جهزت لي جوا ملائما للدراسة فجلست أمام المائدة الصغيرة و أتيت بالكراريس و أقلام الحبر لأكتب شيئا لا أعي مامعناه، شرعت بكتابة أحد دروسي لكن عقلي لم يكن بين أسطر ما أكتب ،لم أكن هي أنا و لم أكن مع نفسي، تفكيري محصور بين ما مضى و ما سيأتي و على ما أنا عليه.

شعور بشع أن يسرق المرأ نفسه من نفسه

إن انتحرت ذات يوم و أصبحت مجرد ملاك في السماء و ينساه الجميع، فلا تبكي يا أمي لأن موتي كان هيّنا عليكِ جدا مقابل حياتي...!

إن أذنب الذكر في مجتمعنا فسيُحسب ذلك شيئاً تقليديا عاديا لأنه يُسمى 'رجل' و لا عيب أو حرج في ذلك، لن يتذكر أحد أخطاءه لأنها لم تُذكر من الأساس، و إن أخطأت الأنثى فسيُكسر رأسها و أرجلها

و يتم خنقها بالعقوبات المتتالية و تعتبر عاراً على أهلها وذنبها هو كونها أنثى لا ذكر، ،فواحدةٌ ستُطرق الطبول لأجل تزويجها و الأخرى يُغلق عليها في غرفتها ويتم توقيفها من مقاعد الدراسة، أما الأخرى فستعاني من العنف و الضرب و السب و تُسلب حُريتها،ويتم تذكيرها بخطئها الواحد طول العمر وبأنها قامت بمساس شرفها و شرف عائلتها وقد يتم التبرؤ منها كأن الذكور لا يمتلكون شرفاً أو عذرية بل إنهم وُلدوا دون شرف حتى، مجتمع ذكوري بإمتياز!

من حق المرء أن يُخطئ و يصيب سواء كان رجُلا أو أنثى حتي يُصيب و يتوقف عن الأخطاء الكبيرة المؤثرة عليه، هكذا يتعلم الفرد من الحياة لا بالعنصرية و قول أن الذكر ملاكٌ حتى لو أخطأ فإنه لن يتلطخ أبدًا

هذا ماكانت تعتقده 'كارين' طول حياتها و ستبقى مُقدسة لمعتقدها هذا حتى يعرف المجتمع ذنبه في العدالة، خطأٌ كبيرٌ يتربى عليه ألاف الأجيال بأن الذكر ملائكة و الأنثى ملائكة تتحول لشيطان عند الذنب!

عندما يحاسب الله الإنسان لن يرى لكونه ذكرًا أو أنثى بل سيعاقبه على فعله بكونه إنسانًا، كلهم سواسية يُجزون على حق الخير و يُعاقبون على حق الشر فلا عنصرية عند الله!

وأنت أيها الإنسان الغبي تأتي لتحتقر النساء و تقول بأنك بمصيبة إن كانت لديك بنت تربيها في البيت ناسيا نفسك.....

أتدرون إني مازلت أندهش من شخصية كارين، هناك آلاف الحلقات المفقودة منها و ما أكته لا يساوي نصف حلقة، في أحد المرات سألتها لماذا لا تعلنين الإستسلام؟ لماذا مازلتِ تستمرين رغم الخسارات المتتالية!

فقالت:تقبُل الخسارة عادةٌ من أولئك الأقوياء لأن الجبناء لا يدخلون المعارك خوفًا من النتيجة السلبية التي يرونها عارًا لهم.

الخسارات المتتالية هي أمر طبيعي بالنسبة للفرد فهكذا هو دولاب الحياة ومائدتها مختلفة الظروف، كإختلاف الأطعمة الموجودة فوق المائدة ،تارة تنعم بالذوق الحلو الذي يرمز للأحداث السعيدة وتارة

حامضة كالمواقف الصعبة،أحيانا تكون مْرةً كمرارة شعور الفقدان و أحيانا قاتلة كالإحساس بالعجز...

'كارين' استثنازجية جداً في رؤيتها للحياة من عدة زوايا، لم تكن صاحبة رأي واحدٍ ثابت بل كانت تُعطي عدة احتمالات و فرضيات لكنها تُرجح واحدة لتترأس القائمة و ماتبقى من الخيارات يعتبر احتمالاً...

ختاما:

أتعطش للحديث مع نفسي كمن يتعطش للماء وسط الصحراء لكن لا سبل إليه ،لست من أذرف الدموع منتصف الليل على خداي،فعندما أشعر بالإمتلاء أُذَّوِبُ مكعبات الثلج على النار ليبدأ الثلج بذرف مياهه بدلاً مني.

ترددت في نشر هذه الحروف كمن يتردد على اختيار طريق حياته ..وسمحت لـ الكلمات التي حرمتها حرية الخروج حتى جفت في حنجرتي، من أن تظهر للعامة و أن أموت وأنا فارغة ..المغزى الحقيقي من البداية أن تستمر في طريقك رغم الخسارات...لا أكتب لكي تشفق أنت علي بل لأعطيك مثالا من حياة أحدهم وكيف استمر رغم الضعف،و أصبح أقوى في النهاية فأنا لست بحاجة لمواساتك لي ..أنا أواسي نفسي بنفسي و هذا يكفيني،و كل هذا كان في الماضي البعيد لأني شخص مختلف تماماً الآن ،و قد لا تمثلني هذه الحروف حالياً إنما مثلتني في عقد مضى .....

تم بحمد الله.